مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد52، ص.ص. 309 -325 ، ديسمبر 2019

مايكل دوميت والمنعطف الميتافيزيقي للفلسفة التحليلية

Michael Dummett and the the metaphysical turn of the analytical philosophy.

Michael Dummett et le tournant metaphysique de la philosophie analytique.

مرابطين سامية*

جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة2

تاريخ الإرسال:2019/ 05/13 تاريخ القبول:2019/09/16 تاريخ النشر:2019/12/15

الملخص:

يعتبر مايكل دوميت (1925-2011)واحدا من أبرز وأشهر الفلاسفة البريطانيين المعاصرين،الذين نقبوا عن أصول الفلسفة التحليلية وجذورها الحقيقية ، معتبرا أن مهمة الفلسفة الحقيقية هو تحليل بنية الفكر انطلاقا من بنية وتركيب اللغة.

اعتبر دوميت أن أغلب المشكلات الميتافيزيقية التقليدية التي طغت على الميدان الفلسفي وطبعت معظم مشكلاته ، والتي منها الصراع التقليدي بين أنصار النزعة الواقعية وبين خصومها تعود في أصولها الأولى إلى مشكلة لغة الخطاب الفلسفي المستخدم ،وتحديدا مشكلة معنى الجمل غير القابلة للتحديد والحكم عليها، وبالتالي فإنها مشكلات سيمانطيقية بالدرجة الأولى ، ولا يمكن حلها إلا بالعودة إلى فلسفة اللغة وتحديدا نظرية المعنى،وهنا يكمن المنعطف الميتافيزيقي للفلسفة التحليلية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية : التحليلية، الواقعية، الصراع، السيمانطيقا، الميتافيزيقا، اللغة، نظرية المعنى، المنعطف.

Abstract :

Michael Dummett is one of the most influential British philosophers in the analytical philosophy,he has determined in his philosophical project that the aim of philosophy is the analysis of the structure of the thought which appears in the language.

Dummett claimed that the classical metaphysic disputes between realism and its opposits are disputes about the meaning of undecidable sentences that belong to the dispute class, so,the philosophical problems in general are semantical ones and their solutions are found in the philosophy of language exactly in the meaning theory ,that is the metaphysical turn in the recent analytical philosophy.

Key words : analytic, realism, debate, semantic, metaphysic, language, signification theory

Résumé :

Michael Dummett (1925-2011) est l’un des principaux représentants de la philosophie analytique contemporaine ;il a consacré son projet philosophique pour prouver que le but de la philosophie est d’analyser le langage qui peut conduire à une explication philosophique de la pensée.

Pour Dummett les conflits métaphysiques classiques entre le réalisme et ses opposants sont des débats sur le sens des phrases indécidables dans le discours linguistique, alors ,la pluparts des problèmes philosophiques sont juste des problèmes sémantiques ,et leurs solutions se trouvent exactement sur le plan de la signification. Ainsi s’établit le tournant métaphysique de la philosophie analytique récente.

Mots-clés :analytique, réalisme, débat, sémantique, métaphysique, langage, théorie de signification

*المؤلف المراسل.

مقدمة:

يعتبر المعنى في الفلسفة المعاصرة وفي فلسفة اللغة تحديدا النواة المركزية التي تنبني عليها مختلف الأنساق الفلسفية والأطر الابستمولوجية، وتقام من خلالها عديد القراءات المعرفية حول المشكلات الفلسفية التي تقبع خلف هذه الخطابات اللغوية ،ومن بين هذه المشكلات المطروحة نذكر الميتافيزيقية منها ،والتي تعود بجذورها إلى الفكر الفلسفي القديم،وبهذا أصبحت فلسفة اللغة وسيلة أو أداة تعمل على على توضيح طبيعة المشكلات الميتافيزيقية من جهة والبحث عن إجابات عنها من جهة ثانية.

ولم تكن هذه الاهتمامات مقبولة لدى الفلسفة التحليلية الكلاسيكية الرافضة لأي بحث ميتافيزيقي معتبرة إياها لغوا لا طائل من ورائه،لكن سرعان ما تغيرت النظرة لدى رواد التحليلية المعاصرة، والتي تجلت في أعمال كثير من الفلاسفة التحليليين المعاصرين ومن بينهم ميكاييل دوميت Michael Dummett، والتي اشتهرت كتاباته بتسليط الضوء على عديد القضايا الميتافيزيقية الكلاسيكية من وجهة نظر فلسفية لغوية وبأدوات تحليلية منطقية معاصرة.

ومن بين المشكلات الميتافيزيقية التي أسالت حبر صاحب كتاب "القواعد المنطقية للميتافيزيقا the logical basis of metaphysics" :قضية الصراع التقليدي بين الواقعية وخصومها من التيارات الفلسفية –والتي ألقت بضلالها على مختلف الأصعدة فلسفية كانت أو علمية–،محاولا بذلك إعطاء مقاربة فلسفية جديدة تنطلق من السيمانطيقا وتحديدا من فلسفة المعنى الى الميتافيزيقا .

وفي ظل هذه المقاربة الجديدة قدم دوميت مشروعا فلسفيا جديدا بشقين متمايزين:شق سلبي يقوم على نقد التصورات الكلاسيكية للواقعية الميتافيزيقية ونقد مبادئها وأفكارها، وآخر إيجابي يقدّم من خلاله البديل الذي يخلف في نظره الفلسفة الواقعية وهو التيار ضد الواقعي،لذا فإن الإشكال الذي يطرح نفسه هو:إلى أي مدى تمكن دوميت من تقديم حلول للقضايا الميتافيزيقية في ظل المقاربة الجديدة التي قدمها بشقيها النقدي والإيجابي؟

أولا:مايكل دوميت وثورة البحث عن المعنى

يعتبر مايكل دوميت Michael Anthony Dummett (1925-2011) واحدا من أهم الفلاسفة البريطانيين في القرن العشرين و من أبرز روّاد الفلسفة التحليلية المعاصرة في أكسفورد الذين أسهموا في ميدان فلسفة اللغة والمنطق وفلسفة الرياضيات بالإضافة إلى السياسة،ويعتبره الكثير من بين الفلاسفة الأكثر تأثيرا من خلال ما طرحه من أفكار وما تركه من مؤلفات ومحاضرات ومواقف سياسية ضد العنصرية والتمييز.

اشتهر دوميت بكونه أكبر باحث وشارح لفلسفة الرياضي والمنطقي النساوي غوتلوب فريجG.Frege،وكونه مؤسس النزعة الضد–واقعية الميتافيزيقية المعاصرةanti-realism challenge القائمة على فلسفة اللغة ونظرية المعنى من جهة وعلى المنطق المعاصر من جهة أخرى.

يتركز مشروع دوميت الفكري في عمومه على فلسفة اللغة وبالتحديد على نظرية المعنى معتبرا أن مهمة فلسفة اللغة هي توضيح مفهوم المعنى كما هو مطبّق في اللغة من جهة ومن جهة ثانية البحث عن "الصدق "Truthوبالتالي البحث عن حلّ للمشكلات الفلسفية المصاغة بشكل صحيح،ولأجل الوصول لهذه الغاية فإننا عادة ما نستخدم عدّة مناهج مستقاة من العلم والرياضيات،ولكن المنهج الذي الذي اكتشفه فريج حتى وإن نجح بصعوبة وجاء في وقت متأخر

إلا أنه في نظر دوميت هو الأنسب،إنه منهج التحليل اللغوي(Berna Weiss,2002,p04). وانطلاقا من الاهتمام باللغة وتحليلها تحليلا منطقيا يمكن أن نصل إلى حقيقة الفكر وطبيعته إذ يقول"إنه فقط عن طريق تحليل اللغة يمكننا تحليل الفكر" (Dummett,1991,p09).

وانطلاقا من كونه فيلسوفا تحليليا أراد دوميت أن يبحث في الأسس والأصول الأولى للفكر التحليلي مؤكدا أن هناك طمسا تاريخيا كبيرا لإسهامات الرواد الأوائل لهذا التقليد على أنها فلسفة أنجلو-ساكسونية،كون أن هذه الطريقة قد أغفلت أعمال مجموعة من الفلاسفة السكندنافيين المحدثين،كما أنه أغفلت الاهتمام الذي أحدثته في مختلف الدول الأوروبية مثل :إيطاليا،ألمانيا وإسبانيا،كما أن هذا العرض الخاطئ المقدم لنا كانت عاملا سلبيا في تقديم صورة خاطئة عن السياق التاريخي الذي تطورت فيه الفلسفة التحليلية في مجموعة من البلدان الأوروبية الأخرى مثل :إيطاليا،وألمانيا،وإسبانيا (Bernard Weiss,2002,p10).

ولم يكن مشروع مؤلف كتاب"أصول الفلسفة التحليليةThe origins of analytical philosophy" يتوقف عند فلسفة اللغة بل تجاوزه إلى التوغل في النقاشات والجدالات الميتافيزيقية التي كانت مطروحة بين الواقعية الميتافيزيقية وبين خصومها والتي انعكست على ميدان فلسفة الرياضيات بين الواقعية الأفلاطونية وبين الضد- الواقعية الحدسانية حول طبيعة الوجود الرياضي،مؤكدا أن هذه المشكلات الميتافيزيقية لا سبيل لحلّها إلا بفلسفة اللغة وبتعبير أدق من خلال نظرية المعنى"(Robert Audi,1999,p247).

إن الجدال الدائر بين الأفلاطونية والحدسانية في نظر دوميت يعتمد على تبني مذهب ميتافيزيقي قائم على منطق معين وعلى نظرية محددة في المعنى،لذا ينبغي تحليل هذا النقاش الفكري إلى ألفاظ منطقية دلالية بدل اعتبارها ألفاظا انطولوجية بصفة محضة(Dummett,1978,p12)،وهنا يتجلى لنا دور التحليل المنطقي للغة الذي سيرتكز على العبارات الرياضية بدل الموجودات الرياضية التي تتحدث عنها هذه العبارات.

لذا فأن نسق دوميت الفكري يقوم على ثلاثية متلازمة هي المعنى والمنطق والميتافزيقا، وهو ما يجعله يتبنى المذهب الضد -الواقعي اعتمادا على الدلالة والمنطق الحديث،فيكون إذن أول من يميّز بين الواقعية واللاواقعية الأنطولوجية وبين الواقعية واللاواقعية الدلالية ،مؤكدا أنه لاسبيل لحل الجدل الرياضي الميتافيزيقي حول طبيعة الموضوعات الرياضية من داخل الرياضيات نفسها قائلا"لاتستطيع البحوث الرياضية أن تحدّد أن العبارات الرياضية لها قيمة صدق حتى مع وجود البراهين المؤكدة لذلك أو انعدامها"(Dummett,1991d,p08) ،لهذا فهو مافتئ يردد في الكثير من حواراته ومؤلفاته أن اهتمامه الأساسي الذي أصبح معروفا به هو نقد الواقعية ونقد نظرية شروط الصدق التي تقوم عليها.

ثانيا:الواقعية الفلسفية من الأنطولوجيا إلى السيمانطيقا

يعتبر مصطلح الواقعية من بين المصطلحات الأكثر شيوعا واستخداما في ميادين المعرفة الانسانية ،لذلك من الصعوبة بما كان إعطاء تعريف محدد ومضبوط لهذا المصطلح،لكن هذا لا يمنع من تقديم جملة من الملامح الأساسية التي يقوم عليها.

تعرف الواقعية عموما بأنها"كل ماهو منسوب إلى الواقع ،ويرادفه الوجودي والحقيقي والفعلي،ويقابله الخيالي،والوهميّ،نقول الرجل الواقعي:أي الرجل الذي يرى الأشياء كما هي في الواقع،ويتخذ إزاءها ما يناسبها من

التدابير،دون التأثر بالأوهام والأحلام"(جميل صليبا،1982،ص552).ومن هنا يتجلى لنا أن هذا المصطلح مرتبط أيما ارتباط بمصطلح آخر لايقل أهمية عنه وهو الواقع reality ،والذي يعود بدوره إلى اللفظ اللاتيني المتأخر realis ،وتعني ماله علاقة بالشيئ(ابراهيم مصطفى ابراهيم،1999،ص46).

أما الواقعية realism فلسفيا: فتطلق على كل نظرية تحقق المثال وتعدّه شيئا واقعيا،أو تقدم الواقع على المثال(جميل صليبا،1982،ص552)،باعتبارها تؤمن بواقعية التفكير ومطابقته للواقع،وانطلاقا من هذا التعريف تكون الواقعية مناقضة تماما للنزعة الاسمية nouminalism وكذا النزعة التصورية conceptualism "كونها تعتبر أن للأفكار والكليات وجودا مستقلا في ذاتها،فالمعرفة إذن حسبها تعالج وقائع حقيقية وأشياء لها وجود مستقل تماما عن الفكر"(Armand Cuvier,1967,p15)،ولهذا يعد الصراع التقليدي بين الواقعية والاسمية من أشهر وأقدم النقاشات الفلسفية التي طبعت الميدان الفلسفي،خاصة فيمت يتعلق بالكليات الخمس.

وبهذا تكون الواقعية مذهبا فلسفيا يضفي على التصورات والحدود الكلية وجودا واقعيا مستقلا عن العقل الذي يدركها من جهة،وعن العالم الفيزيائي ومادته من جهة ثانية ،وهي بذا تخالف التصور الاسمي الذي يعتقد أن المعنى الكلي قائم في عقل العارف ولا مقابل له في الخارج من حيث هو كذلك ،وهو يقوم مقام كثرة الأفراد باعتباره إشارة إليها(محمد فتحي عبد الله،2002،ص520).

وما تجدر الإشارة إليه أن مفهوم الواقعية يختلف باختلاف المجالات التي تبحث فيها:فقد تكون خطابا فلسفيا حول الأشياء العادية أو الماكروسكوبية ،وقد تكون خطابا أخلاقيا حول ما هو خير وما هو شرّ....،لذا فأن تكون واقعيا أمام مشكلة من مشكلات المباحث الفلسفية المختلفة هي أن تعتقد أن فكرنا حول هذه المشكلات يستمدّ وجوده من الانعكاس الموضوعي للواقع،فيكون بذلك هذا الأخير مصدر كل الخطابات الفلسفية وما تتضمنه من مشكلات فكرية أو قيمية أو ماعدا ذلك.

ويتضح لنا من هذه التحليلات أن الواقعية تبقى مذهبا فلسفيا يقر بوجود عالم خارجي مستقل عن أي عقل يدركه،وعن جميع أفكار أو أحوال ذلك العقل،وليست الأمور المدركة في التجربة سوى رموز في العقل ولكنها رموز تدلّ على حقائق خارجية واقعي.وتستخدم الواقعية في عدة مجالات من ميادين الفكر الفلسفي ،وهو ما جعل مفهومها مرنا يتلون بحسب كل مجال تستعمل فيه،ونذكر على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي(ابراهيم مصطفى ابراهيم،1999،ص49):

- ❖ مبحث الوجود:حيث تعني الواقعية فيه إدراك الأشياءإدراكا مستقلا عن العقل الذي يدركها،وفيها نجد الواقعية الساذجة والواقعية النقدية.
- ❖ مبحث المعرفة:حيث تؤكد الواقعية من خلاله أن للمعاني والكليات وجودا مستقلا عن الذهن،عل غرار المثل الأفلاطونية،وعندما توسّع فيها المدرسيون قابلوا بينها وبين التصوّرية والاسمية،وعرفت في مجال نظرية المعرفة بمشكلة الكليات.
- ❖ أما في ميدان علم الجمال:فنجد أن الواقعية تقرر أن الفن مجرّد محاكاة للطبيعة في مقابل السريالية والتجريدية،وتقرر كذلك أن "من أهداف الفن هو إعادة إنتاج الواقع بكل دقة".(Armand Cuvier,1967,p158).

ولا يخرج تصوّر دوميت للواقعية عن هذه المفاهيم الكلاسيكية،حيث يعتقد أن مختلف المشكلات التي تبحث فيها الواقعية الكلاسيكية تتعلق بالموجودات الممكنة أو النظريات العلمية أو حالات الماضي أو المستقبل أو الحالات العقلية،وكذا الميدان الرياضي، ويقدم لنا جملة من التمظهرات التي تتجلى فيها هذه الخصائص والتي تختلف من ميدان لآخر، ومن بينها:

- أن معنى كل خبراتنا مؤلف من العالم الماكروسكوبي للموضوعات المادية.
- أن القضية الرياضية تصف إما بالصدق وإما بالكذب واقعا يوجد مستقلا عنّا.
- أن سلوكات الانسان واضحة ومتميزة عن حالاته الداخلية ومعتقداته ورغباته وأحاسيسه وأغراضه.
- أن العلم يعكس الواقع في حد ذاته ولكن بطريقة متطوّرة .
- أن الحكم الأخلاقي صحيح دوما وموضوعي.

يمكننا أن نستنتج من هذه الأمثلة التي قدّمها دوميت الخاصية الثلاثية التي تنبني عليها الواقعية وهي:**الاستقلالية والموضوعية والتطابق مع الواقع**.إلا أنه سرعان ما ينتقد هذه التعاريف الكلاسيكية لمفهوم الواقعية الفلسفية داعيا إلى ضرورة تحويل مجال الاهتمام بالواقعية من الميتافيزيقا والانطولوجيا إلى ميدان الدلالة وتحديدا إلى العبارات اللغوية التي يستخدمها هذا التيار،ليظهر بذلك نوع جديد من الواقعية يعرف **بالواقعية الدلالية** أو **السيمانطيقية ا semantic realism**.:فما هي مقوماتها وخصائصها؟

يعرّف دوميت الواقعية الدلالية قائلا:"إنها النظرية التي تهتم بكل ما يمكن أن يجعل عبارات الصنف المختلف فيه dispute class ،عبارات صادقة،أي إنها تلك النظرة للواقع الذي يحدد صدق أو كذب عبارات الصنف المختلف فيه،بشكل مستقل عن قدرتنا لمعرفته أو قدرتنا عن اكتشاف قيم صدقها" (Dummett,1993,p230) فمن هذا التعريف يتضح لنا أن الواقعية في نظر دوميت أصبحت مرتبطة بالمفاهيم الدلالية السيمانطيقة مثل العبارة والمعنى والصدق،لذا فإنه ذلك المذهب الذي يدرس بالتحليل معنطى العبارات التي تكون محل اختلاف بين الواقعية وخصومها ،بغية تحديد الشروط الواقعية والموضوعية التي تكون من خلالها هذه العبارات صادقة أو كاذبة،بصفة مستقلة تماما عن الذات العارفة وقدرتها في التعرف على هذه الشروط أو حتى اكتشافها.

ومن ثمة تصبح الواقعية من هذا المنظور متعلقة بمجال ما من الخطاب اللغوي linguistic discourse، لها شروط صدق وتحقق متعالية عن قابلية معرفتها أو التحقق منها،،وبهذا يكون دوميت قد حوّل الواقعية من مفهومها الأنطولوجي والميتافيزيقي الكلاسيكي على أنها القضية التي تؤمن بالوجود الواقعي للموضوعات والمفاهيم الكلية إلى مفهوم دلالي قائم على نظرية المعنى والصدق،ومن ثمة تصبح الواقعية نظرية في أصناف القضايا أكثر من كونها قضية حول الموضوعات أو الأشياء.

انطلاقا من التعريف الذي قدّمه دوميت للواقعية الدلالية،يكون قد حصر اهتمامها في البحث عن معنى العبارات الغامضة التي يصعب الاتفاق حولها من جهة ومحاولة تحديد قيم الصدق أو الكذب التي تجعلنا نؤمن بصدقها أو كذبها والتي تتطابق مع الوجود الواقعي المستقل عن العقل الإنساني.

وبهذا يتحوّل الخلاف الميتافيزيقي بين الواقعية وخصومها إلى خلاف حول معنى العبارات المستخدمة خاصة الغامضة منها،ومدى صدقها مقارنة بالواقع الخارجي إذ يقول "إن الخلاف بين الواقعية وخصومها قائم على مفهوم الصدق المناسب لعبارات الصنف المتنازع حوله:وهذا يعني أنه خلاف حول المعنى الذي تحمله هذه العبارات(Dummett,1978,p146) ،حيث أننا إذا فكرنا مليّا في المناظرات المستقلة بين الواقعيين وخصومهم وجدناها تهتم بنمط مختلف من اللغة ،ومن المعنى الذي يستخدمه كل طرف في تحليل عبارات ذلك النمط،لذلك فإنه لا سبيل لحل المشكلات الفلسفية والسّجالات الماورائية إلا بالعودة إلى اللغة ،كون أنها قادرة على توفير حل نهائي لها.

وانطلاقا من هذه النظرة يعتقد دوميت أنه يمكننا التحكم في الخلافات الميتافيزيقية من خلال اختيار نظرية دلالية مناسبة أي اختيار نظرية في المعنى تمكننا من إيجاد الحلول المناسبة،وبهذا تصبح نظرية المعنى هي الأساس والقاعدة الأساسية للفلسفة برمّتها (Dummett,1978,p309)، وبهذا التصور الدلالي تصبح كل الخلافات الكلاسيكية خلافات حول السيمانطيقا الصحيحة لميدان معين من اللغة.

ولذا فإن أهم فكرة تقوم عليها الواقعية الدلالية هي ثلاثية :المعنى والصدق والحكم كما يرى باسكال انجل :فالمعنى يكون موضوعيا من خلال شرط واقعي مستقل عنا،وتقوم موضوعية الصدق كونه أيضا خارجي متعال عن معارفنا ،أما موضوعية الحكم فتكمن في قدرة هذه العبارات على الاحتفاظ بمعالم الواقع المستقل عن قدراتنا الابستمية (Pascal Engel,1994,p108)، وفي تحليل هذه الثلاثية نجد أن الواقعية الدلالية تركز على مفهومي الموضوعية والاستقلالية وذلك ضمانا للصدق ولثبات المعاني وابتعادها عن الذاتية.

ولضمان موضوعية الصدق فإنه لابد من ربط العبارة بالموضوع المشار إليه في الواقع أي بالماصدق الذي يعتبر القيمة الدلالية للعبارة الحملية (Bernard Weiss,2002,pp50,51)، فعلى سبيل المثال تكون القضية"سقراط فان" صادقة في حالة ما إن كان الموضوع المشار إليه وهو سقراط يتميز فعلا بخاصية الفناء،ومعنى هذا أنه لفهم جملة خبرية "س" فإنه علينا أن ندرك شروط صدقها في الواقع ،أي معرفة كيف يجب أن يكون العالم حتى تكون "س" صادقة،وتأكيد هذا الأمر هو في الوقت نفسه إثبات لشروط الصدق التي نحن بصدد إدراكها،وهذا ما جعل من الصدق –في نظر دوميت– المحور المركزي الذي تدور حوله نظرية المعنى(Dummett,1993,p42) .

وإذا كان الواقع الخارجي هو أساس صدق القضايا التي نستخدمها فإنه لا محالة ستكون هذه القضايا إما صادقة وإما كاذبة،أي ذات قيمة ثنائية إما الصدق وإما الكذب حسب وجود المشار إليه أو عدم وجوده واعتمادا على مبدأ عدم التناقض ،فإن دوميت يرى أن الدلالة من منظور الواقعية هي دلالة ثنائية القيمة كونها قائمة على مفهوم الإشارة أو المرجع الموجود في الواقع من جهة أو وفق حالات وأوضاع الأشياء states of affairs التي نتحدث عنها.

وبالاضافة إلى مفهوم الموضوعية فإن الواقعية الدلالية تركز على مفهوم الاستقلالية عن الذات العارفة وعن الأفكار الذاتية وعن المعتقدات التي نملكها وحتى عن ممارساتنا العملية اللغوية،كون أن شروط الصدق تكون مرتبطة بالواقع ومتجاوزة للمعرفة الانسانية ،وهي موجودة سواء أدركناها أم لم ندركها،فالمعاني كما يقول دوميت "غير متعلقة مطلقا بصفة البداهة والوضوح التي نملكها "(Dummett,1981,p466)،وهذه الفكرة استقاها دوميت من التصور الواقعي للعالم الفيزيائي،كون أن هذا الأخير مؤلف من واقع موضوعي مستقل عن معرفتنا

له(Dummett,1978,pxxv)،فعندما نقول مثلا:" القمر كروي الشكل" فإنها تكون قضية صحيحة إذا وفقط إذا كان القمر كرويا بالفعل في الواقع سواء علمنا بذلك أم لم نعلم.

ويقصد دوميت بعبارات الصنف المتنازع عنه the dispute classبين الواقعية وخصومها :تلك القضايا التي يصعب تحديد قيم صدقها مثل عبارات الماضي أو عبارات المستقبل أو العبارات الأخلاقية(Dummett,1993,p230)، وغيرها مما لا يمكن التأكد من صدقها أو كذبها،والتي تعتبرها النزعة الواقعية صحيحة حتى لو لم نتمكن من معرفتها(Dummett,1991,p107).إذن الواقعية هي أولا وقبل كل شيء قضية دلالية سيمانطيقية تعبر من جهة عن ماهو موجود من خلال رسم ملامح الموجودات الفيزيائية ومن جهة ثانية تعبير عن طبيعة هذا الوجود باستخدام جملة من الألفاظ المستقلة في الدلالة والموضوعية في المعنى.

إلا أن دوميت يعترف بحضور الصدى الميتافيزيقي في ثنايا الواقعية الدلالية خاصة من حيث إقرارها بتعالي وتجاوز شروط الصدق(Dummett,1981,p326) ، إذ أن أغلب الباحثين في موقف دوميت من الواقعية الدلالية يجدون أنه يمكن تلمس ملمحين أساسيين فيها–الواقعية الدلالية-،يتمثل **الملمح الأول** في الميتافيزيقا من خلال فكرة الاستقلالية للحقائق المختلفة،ويتمثل **الملمح الثاني** في الابستمولوجيا وتتمثل في مفاهيم الصدق والمعرفة والموضوعية،ربط بينهما دوميت في مقاربة منطقية سيمانطقية في آن واحد.

وإذا كانت الواقعية الدلالية حسب دوميت تؤمن بأنه يمكن الحكم على الفكر بالصدق أو الكذب انطلاقا من علاقته بالواقع ،وبكل استقلالية عن العقل الذي يدركه ،فإنه يمكن تلخيص خصائصها كما يلي :

- أنها النظرة التي تركز على معنى العبارات المستخدمة في النقاشات الفلسفية،خاصة فيما يتعلق بالميادين التي تسترعي عباراتها اتفاقا بين المذاهب الفلسفية.
- تفترض هذه النظرة أن معنى كل عبارة أو قضية إما أن يكون صادقا أ و كاذبا ،فهي نظرية ثنائية القيمة bivalence.
- معنى كل عبارة يتطلب شروط صدق truth- conditionsهي من تحدد قيم الصدق للعبارة truth- values, والمتمثلة إما في الصدق وإما في الكذب.
- قيم الصدق محددة بالواقع الخارجي وبصفة مستقلة تماما عن الذات المدركة.

وانطلاقا من هذه الخصائص يمكن تحديد أهم المبادئ التي تتحكم في الواقعية الدلالية والتي تتمثل فيما يلي:

أ–مبدأ التطابق correspondence principle:

وهو المبدأ الذي تكون القضايا من خلاله مرتبطة بالعالم الخارجي ومتطابقة مع الحقائق الموجودة بهذا الواقع،ويعبر دوميت عن هذا الواقع قائلا"إن نظرية التطابق تخبرني بأن العبارة "س" تكون صادقة إذا وفقط إذا كانت متطابقة مع الواقعة "ع" ،لذا فإنه لتحديد ما إذا كانت س صادقة ،يجب علي أن أحدد أن "س" متطابقة مع "ع" "(Dummett,1981,p451)،ومعنى هذا أن القضية لكي تكون صادقة فإنه لا بد أن تملك شيئا في العالم الخارجي الذي يضفي عليها صفة الصدق.

ومثال ذلك القضية التالية:"**إن الكتاب فوق المكتب**"،حيث تجد هذه القضية صدقها من خلال وجود الواقعة الفعلية المدركة بالتحقق الخارجي وهي وجود الكتاب فعلا فوق الطاولة،وتكون هذه القضية كاذبة إذا لم نجد الواقعة التي تقابلها في الخارج محققة،أي أن الكتاب غير موجود فوق الطاولة.

وينتج عن هذا الموقف العديد من المفاهيم الابستمية التي تحدد مفهوم الصدق، ومن بينها مفهوم المرجع ،ومفهوم شروط الصدق،وكذا قيم الصدق...الخ وهي المفاهيم الجوهرية التي تنبني عليها نظرية التطابق،فحسب نظرية التطابق-كما يقول دوميت- أن القضية تكون صادقة ويتطلب هذا أن تكون متطابقة مع الواقع ،وهذا ما ينتج عنه ارتباط أفكارنا بالواقع ،وأن اللغة التي نعبر بها عن أفكارنا ليست إلا وصفا لهذا الواقع،وأن تفكيرنا في الوصف "إنها صادقة"يتطلب أن يكون الواقع الذي نتحدث عنه يكون مطابقا لهذه العبارة(Dummett,1993,p117).

ولا يمكن لنا فهم المعنى الحقيقي لمبدأ التطابق دون الحديث عن المفاهيم التي تنطوي تحته،ومن بينها مفهوم المرجع أو الإشارة والذي يقصد به وفقا للتصور الدلالي الشروط التي تحدد صدق العبارة من كذبها،كون أن معرفة شروط الصدق لجملة ما هو فهم معناها،أي أن فهم ما تعنيه جملة ما هي معرفة الحالات أو الأوضاع التي يمكن من خلالها أن تكون هذه القضية محققة واقعيا أي صادقة دلاليا(Pascal Engel,1994,p150).

أما المفهوم الثاني فهو ما يعرف بقيم الصدق حيث أنه لكل جملة قيمتا صدق هما الصدق والكذب،وتسمى كذلك إمكانات الصدق،وتعتبر القضية صادقة أو كاذبة إذا اتصفت بإحدى هاتين القيمتين،لذا فإن هذه القيم مرتبطة ارتباطا تاما بالمرجع الذي تشير إليه هذه العبارات،فالمرجع هو الذي يجعل القضية صادقة أو كاذبة،"فكل قضية من الصنف المختلف فيه هي محددة إما صادقة وإما كاذبة،وهذا لأنه بالنسبة للواقعي فإن العبارات حول الواقع الفيزيائي لا يمكنها أن تمتلك قيم صدق انطلاقا من ملاحظتنا لها،ولا حتى العبارات الرياضية فإن قيم صدقها غير مرتبطة ببرهنتنا لها أو عدم برهنتنا لها،ولكن في كلتا الحالتين فإن قيم صدق العبارات هي مرتبطة بالواقع الذي يوجد مستقلا عن معرفتنا بهفإن هذه العبارات هي إما صادقة أو كاذبة، انطلاقا من كونها تتوافق أو لا مع هذا الواقع" (Dummett,1991,p .p07,08)

و لقد عبّر فريج عن هذه العلاقة قائلا"إن البحث عن الصدق هو الذي يقودنا دائما إلى التقدم من المعنى إلى الإشارة"(Frege,1971,p122) ،وبهذا التوحيد بين القضية والصدق يظهر الارتباط الوثيق بين فلسفة اللغة والمنطق من جهة،وبين فلسفة اللغة ونظرية المعرفة من جهة ثانية.

وتبدو الواقعية الدلالية من هذا المنظور جليا في نظرية الدلالة عند غوتلوب فريج الذي اعتبر أن قيم الصدق والكذب قيم موضوعية مستقلة عن عالم الإنسان والأشياء المادية،وتقوم في العالم الثالث —عالم المعاني- ما يجعلها كذلك قيما ثابتة لا تتغير بتغير القضايا أو حدودها،لذا اعتبر فريج أنه ما دامت القضية صادقة فإنها بلا شك تشير إلى شيء واقعي.

ومن تحليله للعلاقة بين الدلالة والواقع يرى دوميت أن قبول أو رفض وجود واقع موضوعي ما هي مسألة دلالية لغوية وليست أنطولوجية،وتبرير هذا أنها متعلقة بالطريقة التي على ضوئها ترتبط الدلالة والمعنى بالواقع،ومن ثمة فإن الموقف الأنطولوجي من الواقع يكون نتاجا لنظرية المعنى وليس مقدمة لها كما كانت تؤمن الواقعيات الكلاسيكية.

ب-مبدأ التعاليtransendance principle:

يعرّف دوميت هذا المبدأ قائلا"إن العبارة يمكن أن تكون صادقة حتى وإن لم نكن نعرفها كما هي،وحتى وإن لم تكن لدينا أية وسيلة لمعرفتها "(Dummett,1993,p232) أو حتى إدراكها ،ومعنى هذا أن معرفة صدق العبارات أو كذبها هي معرفة متعالية ومتجاوزة للذات العارفة كعقل أو حواس أو وجدان،وينتج عن هذا أن "كل قضية ذات قيم صدق متعالية أو لا يمكن إثباتها أو تقريرها فعليا هي قضية صادقة أو كاذبة بطريقة محددة باستقلال عن الوسائل التي نملكها من أجل معرفتها(Pascal Engel,1994,p159) .

لكن هذا المبدأ يطبق أيضا على الجمل غير القابلة للتأكد منها واقعيا undecidable-sentences مثل جمل الماضي أو جمل المستقبل أو العبارات التي تصف مواقع غير محددة لا بالزمان والمكان ....الخ(Dummett,1976,p112)،إلا أنه تكون في نظر الواقعية جملا صادقة لأننا لا نملك أي وسيلة لمعرفة قيم صدقها،ومن مثل هذه الجمل قولنا: "المتنبي كان فارسا شجاعا"،أو قولنا"لقد كان ضغط لويس السادس عشر منخفضا جدا في 21 جانفي 1973"،وكذا قولنا"سيصبح ولدي مهندسا معروفا عندما يكبر"....الخ،كلها جمل تتعالى قيم صدقها عن معرفتنا بها.

لكن هذا التعالي لا يعني مطلقا أننا لسنا قادرين على فهم معناها،فنحن نفهم الكثير من العلاقات الرياضية ونؤمن بصدقها رغم أننا لا نملك أية طريقة لإثبات صدقها أو كذبها،فهي تبقى جملا صادقة في جميع الأحوال (Pascal Engel,1994,p159)،ويظهر جليا هنا الفرق بين ترانسندتالية الكانطية القائمة على عدم إمكانية العقل عن معرفة الموضوعات الميتافيزيقية،وبين ترانسندنتالية شروط الصدق في النظرية الواقعية التي تنم عن قصور الذات العارفة عن معرفة شروط صدق العبارات.

هذا المبدأ يعتبر حسب دوميت أحد المكونات الأساسية للتصور الواقعي،لكنه ليس ضروريا بالنسبة له،لكنه من جهة أخرى يفتح المجال للتصور الميتافيزيقي في مجال المعنى،كونه يسلط الضوء على أمور لا يمكن التحقق منها فعليا أو واقعيا (Pascal Engel,1994,pp148,149)،ومن ثمة تقف ضد التطور العلمي.

وتجدر الإشارة إلى أن الغاية من تبني هذا المفهوم ضمانا لخاصيتي الموضوعية والاستقلالية في المعرفة بعيدا عن الذاتية، وكرد فعل عن النزعة النفسانية Psychologism التي تأخذ بالتأويل النفسي لقوانين المنطق والرياضيات،وبهذا تصبح الأحكام المنطقية والمعرفية ومعاني القضايا الرياضية مجرد تعميمات تجريبية لخبراتنا النفسية ومأخوذة من الطرق التي يتبعها الناس في تفكيرهم ،فكل ما ليس طبيعيا أو حادثة طبيعية هو ذو أصل نفسي،كما تعتبر هذه النزعة أن الفكر عملية سيكولوجية يعبّر عما هو موجود في أعماق النفس البشرية،وأن صور الفكر وقوانينه خاضعة للبناء النفسي،معتبرة أن قوانين المنطق مثلا هي بالدرجة الأولى مبادئ نفسية،ونجد هذه الفكرة عند جون ستيوارت مل وأتباعه الذين ردّوا القوانين المنطقية إلى ظواهر نفسية (سلامة يوسف،2007،ص93)، ويعتبر فريج من أشد الناقدين للتصور النفسي سواء في ميدان الدلالة أو المنطق والرياضيات.

ج-مبدأ ثنائية القيمة bivalence principle

يعتبر هذا المبدأ أهم معلم تتميز به النظرية الواقعية الدلالية عن باقي المواقف الدلالية المعاصرة،ويعرف "بأنه المبدأ الذي يعتبر أن كل عبارة هي إما صادقة أو كاذبة ،لذا فإن هذا المبدأ يؤسس لقيمتين فقط(الصدق،والكذب)،وأن هذه العبارة لها قيمة واحدة لا غير"، فقولنا :"الثلج أبيض" لها قيمتي صدق،فتكون صادقة في حالة ما إذا الثلج فعلا أبيض، وتكون كاذبة في حالة ما ثبت عكس ذلك.

وبما أن شروط صدق القضايا في نظر الواقعية تكون مستقاة من الواقع الخارجي،فإن العبارات التي تصف هذا الواقع -كما يقول دوميت-تكون إما صادقة وإما كاذبة انطلاقا من كونها تتوافق مع هذا الواقع أو لا تتوافق معه(Dummett,1991 ,pp07,08)،أي أن مبدأ التطابق مع الواقع هو من يحدد القيمة الثنائية لمعنى العبارات المستخدمة،وهذه الميزة جعلت من خاصية ثنائية القيمة خاصية مشتركة بين جميع الواقعيات الكلاسيكية،وهذا لأن الفكرة لا تكون صادقة إلا في حالة مإإذا كانت متطابقة مع الحقيقة،إنها صادقة إذا كانت فقط حقيقية.

ومن هنا يظهر لنا أن مبدأ القيمة الثنائية_حسب دوميت- مرتبط ارتباطا وثيق الصلة بمفهوم المرجع reference أو المرجع حتى بالنسبة لعبارات الصنف المتنازع حولها،إذ يقول:"إنه من أجل نظرية واقعية(في المعنى)،فإنه كاف أن نفترض أن العبارات في الصنف المعطى هي محددة انطلاقا من الواقع الذي ترتبط به،سواء كانت صادقة أو كاذبة:فالواحد منا يجب أن يكون لديه بعض المفاهيم عن الطريقة التي من خلالها تكون هذه العبارات محددة، لأن هذا التصور يقوم بصفة جوهرية في السيمانطيقا الكلاسيكية ذات القيمة الثنائية،وهذا بدوره يفترض استدعاء لمفهوم الإشارة،كونه مفهوما ضروريا في النظرية الدلالية"(Dummett,1993,p231).

وفي الحقيقة نجد أن هذه الخاصية الثنائية ترتبط أيما ارتباط بمدأين منطقيين أساسيين هما مبدأ عدم التناقض- non contradiction، الذي يشترط أن تكون أفكارنا وبراهيننا متماسكة وخالية من التناقضات بحيث أن لا يمكن استنباط القضية "س" ونقيضها" لا س" فينفس الوقت من داخل حدود أية نظرية ،ومبدأ الثالث المرفوع excluded middle الذي يعتبر أحد قوانين الفكر الأساسية الثلاثة عند أرسطو،ويقوم على أن أي شيء إما أن يوصف بصفة ما أو نقيضها،ولا توجد صفة ثالثة يوصف بها هذا الشيء(محمد فتحي عبد الله،2002،ص73، 149).

ولقد أسس أرسطو نظرية القياس على قيمتي الصدق والكذب،مستبعدا في البداية كل تصور ممكن لقيمة ثالثة حيث كان يعتقد أنه إذا قبلنا كل شيء يمكن أن يكون على هذه الهيئة وفي الوقت الواحد ليس عليها،فإنه ينتج عن ذلك رفضنا للإثبات والنفي،وهو ما ينتج عنه استحالة تقديم أي حكم محدد،ويمنع الإنسان من الخوض في الحديث ،ومن قول أي شيء معقول،بل يجعله أكثر من ذلك غير قادر على القيام بأي شيء،ويقضي على كل شكل من أشكال المعرفة(جراح سليمة،2005،ص ص5، 6)،وهو ماساهم بشكل كبير في تأسيس المنطق الثنائي القيمة ، ونظرا لهذه الخاصية التي يتميز بها المنطق الكلاسيكي أصبح أكثر ارتباطا بنظرية المعنى الواقعية،وأصبح الأساس الذي تقوم عليه هذه الأخيرة في تصورها للصدق(Dummett,fpl,p671)،ومن ثمة أصبحت ثوابت المنطق تطبق بطريقة ذكية ومقولة على هذه العبارات مثل :النفي الكلاسيكي أو المكمم الوجودي وغيرها (Dummett,1993,p230).

ولكن الملفت للانتباه أن هذا المبدأ يطبق –حسب التصور الواقعي–على كل العبارات بما فيها تلك التي نملك أي دليل على صدقها أو كذبها مثل عبارات الماضي،إذ يقول'في النظرة الواقعية لعبارات الماضي،فإنها تكون إما صادقة

وإما كاذبة سواء حدثت أو لم تحدث،سواء تذكرها الواحد منا أم لم يتذكرها،أو كان فيها مستحيل أم لم يوجد'(Dummett,1991,p08)،وهو ما يصدق أيضا على عبارات المستقبل وغيرها من العبارات غير القابلة للتقرير،ولكنه عادة مايرد بصفة ضمنية،إذ يقول:إنه من المهم التنبيه إلى أن مبدأ ثنائية القيمة يطبق على عبارات الصنف المختلف فيه،وينظر إليه على أنه مبدأ ضمني للواقعية،فبالنسبة لهذه العبارات يجب أن تصاغ كما يلي "كل عبارة هي إما صادقة أو كاذبة"،أين يكون الكذب يساوي الصدق في حالة النفي ،بدلا من الصياغة الموضوعية الضعيفة "كل عبارة هي إما صادقة أو ليست صادقة"(Dummett,1991,p334).

ويبرر دوميت هذه النظرة الواقعية على أساس أن التزام الواقعية بهذا المبدأ ليس التزاما خصيصا لمفهوم القيمة الثنائية للصدق،بل لغاية أسمى والتي تقوم على النظرة إلى مفهوم الصدق أنه مفهوم متجاوز لمعرفتنا الممكنة. ليكون هذا المفهوم مفهوما غير مقيد ابستميا(Bernard Weiss,2002,p59)،ويقصد دوميت من هذا أن توظيف مبدأ ثنائية القيمة هدفه ليس منطقيا كما نجده عند أرسطو،بل إنه مرتبط بالجانب الميتافيزيقي من جهة كونه يعتمد على ترنسندنتالية الحكم والمعرفة ولذا فإن الوصف الأنسب لهذه النظرية الدلالية ،بالإضافة إلى كونها النظرة الموضوعية المتعالية،هو أنها نظرية دلالية ثنائية(Dummett,1991,p263)،وأن مبدأ ثنائية القيمة لم يعد مبدأ منطقيا بل أصبح مبدأ دلاليا بامتياز كونه أصبح يهتم ببنية نماذج المعنى الخاضع للغة من جهة ومن جهة ثانية لأن قبول أو رفض وجود واقع موضوعي هي مسألة دلالية وليست أنطولوجية .

د-مبدأ الكلية Holism:

ومن بين الصفات المميزة للنظرة الواقعية إيمانها بالنظرة الكلية للمعنى the holistic view of meaning على أساس ما يعرف بمبدأ الكلية ولا يمكن تصور معنى أية قضية بمعزل عن الحدود والألفاظ الجزئية التي تكوّنها ،أي أنه لا يمكن فهم كل مكون من مكونات الجمل المركبة مثلا من مكوناتها بتجريدها من سائر الجمل الجزئية التي تظهر فيها.

ويبرر باسكال انجل لجوء الواقعية إلى مبدأ الكلية لتبرير مبدأ التعالي،كون أن القضايا الكلية أو العامة لا يمكن تحديد شروط صدقها فتبقى بذلك متعالية عن مصادرنا الفعلية للتحقق منها(Pascal Engel,1994,p164) ،بالإضافة إلى مبرر آخر وهو ضمان موضوعية معاني العبارات بعيدا عن الذاتية لأن الركون إلى معنى كلمة بمفردها قد يولّد معنى غير المقصود منها تماما ،لذا فإن ما يجب أن نضعه نصب أعيننا هو المعنى الكلي للكلمة.

وإذا كانت هذه هي بعض الخصائص والملامح الأساسية التي تميز النظرة الدلالية الواقعية ،فإنه على ضوء هذه الخصائص يبني دوميت انتقاداته للواقعية مثبتا تهافتها وضعفها في تحقيق الأهداف التي ترمي إليها،ليؤسس بديلا عنها يتمثل في الفلسفة ضد الواقعية.

ثالثا:الضد الواقعية الدلالية والتأسيس للميتافيزيقا:

يعتبر مصطلح ضد الواقعية Anti-realism من وضع دوميت والذي جاء به ليبين موقفه الرافض للواقعية الدلالية،ويعرفها ألكسندر تانيسيني في معجمه حول فلسفة اللغة قائلا"إنها النظرة التي صيغت لأول مرة من طرف دوميت كنظرة مخالفة للواقعية الدلالية وذلك في مقاله "Realism،وذلك تميزا لها عن المذاهب الفلسفية التقليدية المعارضة

للواقعية من اسمية وتصورية ومثالية وظاهرتية .إذ تذهب النزعة ضد الواقعية إلى أن العبارات في خطاب لغوي ما لا يمكن أن ينظر إليها على أنها كاذبة أو صادقة وفق شروط تحقق الصدق المتعالية"(Alexander Tanissini,2001,p143)، وعلى ضوء هذا الرفض الناقد للواقعية تتبنى ضد الواقعية موقفا جديدا في المعنى قائم على أن "أي وصف للمعنى قائم على جملة من المفاهيم الأساسية هي : القابلية للتحقق والقابلية للتكذيب،بالإضافة إلى التقرير المبرر أو النفي المبرر"(Bernard Weiss,2002,p122).

إن النظرية ضد الواقعية ترمي إلى التدليل على رفض عبارات الصدق المتعالية سواء كانت صادقة أو كاذبة تحت شعار ليست المشكلة في أن نعرف إذا كانت القضية صادقة أو كاذبة ،بل في كيف يمكننا بناء نظرية نسقية للدلالة تهدف إلى توضيح الكفاءة السيمانطيقة للمتكلمين و مستخدمي اللغة(Pascal Engel,1994,p166) ،أي أنها تركز الاهتمام على قدرة المتكلم في إثبات القضية أو نفيها بعيدا عن الشروط المتعالية والمستقلة عن الذات العارفة.

لذا تعتبر ضد الواقعية اتجاها يقف موقفا لا أدريا بشكل تام إزاء وجود كيانات مزعومة أو مفترضة غير قابلة للملاحظة أو للتحقق منها واقعيا،لذا فهي تعيد الاعتبار للذات على حساب الواقع الخارجي،ولعل "ما يميز ضد الواقعية التي يتبناها دوميت أنها لا تنفي وجود عالم موضوعي مستقل عن الذات"(Pascal Engel,1994,p188)،إلا أنه لا يحتل نفس القيمة التي كان يحتلها في النظرية الواقعية الدلالية باعتباره مصدر الصدق والتكذيب للقضايا.

ولقد برر دوميت استخدامه لمصطلح ضد الواقعية دون غيره قائلا:" لقد اخترت هذا الوصف لسببين هما:الأول :رغم أن الخصم للواقعية يعتبر نوعا من المثالية ،idealism إلا أن هذا لا يمكن أن يكون كذلك دوما،مثلا الاختلاف بين الواقعية والسلوكية حول الحالات العقلية،رغم أن السلوكية لا تعتبر تصنيفا من أنواع المثالية،أما الثاني :فيكمن في أن المثالية تفترض الكثير من الخصائص التي هي غير مرتبطة بالهدف الذي أرمي إليه في مشروعي هذا"(Dummett,1993,p464).

إذن فغرض دوميت من اختيار هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات هو تمييزها عن المثالية بكل تصنيفاتها من جهة،واعتبارها نقيضا مقابلا للواقعية الدلالية حول مفهوم الصدق والمعنى دون غيره من الموضوعات الفلسفية الكلاسيكية،ولتوضيح هذا التميز يكفي أن نقارن بين مثالية باركلي الكلاسيكية القائمة على رفض الواقع الخارجي حتى في معاني العبارات المستخدمة وبين اللاواقعية الدلالية التي تقر دوما بالعلاقة بين العالم الخارجي وبين معاني العبارات دون رفضه مطلقا(Pascal Engel,1994,p188).

وإذا كان من الصعوبة ضبط مفهوم دقيق لضد الواقعية الدلالية ،فما هي خصائصها التي تميزها؟وما الفرق بينها وبين الواقعية الدلالية؟

تتميز اللاواقعية بجملة من الخصائص والمميزات التي جعلت منها تقف الوقف العنيد والمناقض تماما للواقعية الدلالية،وبما أنها جاءت كرد فعل ضد هذه الأخيرة فإن خصائصها لابد أن تأتي لنفي ما يحمله التأويل الواقعي في ميدان الدلالة والمعنى،ويمكن أن نتنبط هذه الخصائص انطلاقا من موقفها من مشكلات الصدق والمعنى باعتبارهما محور كل نظرية دلالية وذلك كما يلي:

أ:الموقف من المعنى: يذهب دوميت في مقاربته ضد- الواقعية إلى اعتبار أن فهم معنى كلمة ما هو فهم الكلمة المستخدمة،وفهم هذه الأخيرة هو قدرتنا على استخدامها استخداما صحيحا وفق القاعدة الفيتغنشتاينية المعروفة أن المعنى هو الاستعمال،ولن يتسنى لنا هذا إلا بامتلاكنا الخبرة والكفاءة الضرورية اللازمة،فتصبح الحقيقة مرتهنة بالعقل .

ولتفعيل هذه النظرة التداولية في المعنى يقترح دوميت:أن معرفة المعنى تكون مرتبطة بالمعرفة الضمنية،هذه الأخيرة التي تتجه لأن تكون بنوع عملي فعلي،لكن المعرفة الضمنية مقترنة بالقابلية على استخدام اللغة في الطرق المناسبة،لذا فإن الذي ينتمي إلى التيار ضد الواقعي يؤؤل "القابلية للمعرفة"إلى "القابلية للمعرفة من طرفنا"في حين أن الواقعي يؤول على أنها القابلية على المعرفة ببعض الفرضيات التي تفوق قدراتنا المعرفية"(Mark Quentin Gardiner,1963,p219) ،فالواحد منا مثلا لا يستطيع سياقة دراجة ما لم يمتلك معرفة قبلية مسبقة بكيفية سياقتها وكيفية استعمال المكابح والمقود،وهذا ما يقصده دوميت بالمعرفة الضمنية.

ب:مفهوم الصدق: يهتم دوميت بمفهوم الصدق لأنه المفهوم المركزي في أي نظرية دلالية، لكنه يربطه بمفهوم التحقق والتقرير والتأكيد ،فالفيلسوف ضد الواقعي يتصور مفهوم الصدق على أساس شروط التأكيد الصحيح،فإذا كان معنى جملة ما قائم على الشروط التي من خلالها تكون قابلة للتحقق،وتكون الجملة قابلة للتحقق إذا وفقط إذا امتلكنا المعرفة المناسبة بشروط الصدق(Mark Quentin Gardiner,1963,p37).

وتكون الجملة قابلة للتحقق فقط إذا استطعنا جمع البداهة الكافية من أجل التقرير الصحيح،لذا فإن شروط التحقق ليست متعالية،بل تكون معروفة لدى المتكلم من جهة ، ومن جهة ثانية تكون ظاهرة في ممارساتنا العملية،والقدرة على هذا الإظهار هي التي تحدد الفهم الصحيح.

ويكون مفهوم الصدق تحققيا إذا أخذنا جملا على أنها صادقة إذا وفقط إذا إذا كانت كذلك أو على أنها مؤسسة لتكون صادقة مسبقا،فإذا افترضنا الحديث عن شخص ميت، وأخذنا القضية الآتية التي تتحدث عنه"إن الرجل كان شجاعا"،فهل هذه القضية صادقة أم كاذبة؟،فمن المحتمل جدا أننا لا نستطيع أن تكشف أية معلومة عن هذا الشخص،وبالتالي فإنه في أية حالة "إن الجملة ليست صادقة ولا كاذبة" أي لا نستطيع الحكم عليها،لكن من وجهة نظر الواقعية المخالفة فإن صدقها أو كذبها يتجاوز معرفتنا عنه،لذا فإنه علينا اكتشاف شيء ما حول هذا الشخص يجعل الجملة صادقة أو كاذبة،لذا يجب علينا البحث عن الوضعيات التي تكون فيها هذه العبارات محققة،يقول دوميت"إن المفهوم الصحيح للصدق الذي يجب أن نكتسبه من خلال محاولتنا في استخدامنا الشيء الذي يكون متناسبا مع تبرير تقرير كل قضية ،بمعنى وجود الوضعيات التي من خلالها نكون قادرين على معرفة المبررات التي تعلل هذه التقريرات والتأكيدات"(Dummett,1978,p363).

ويتضح لنا الاختلاف جليا بين ضد الواقعية والواقعية في مفهوم التقرير الصحيح،فالواقعي يسمح بإمكانية صحة هذه التأكيدات حتى في تلك الحالات التي لا يمكن أن نعرف شروط صدقها ،في حين أنه بالنسبة للنزعة ضد الواقعية فإنها لا تسمح بمثل هذه الإمكانية،بالإضافة إلى أنه بالنسبة للواقعية فإن الجملة يمكن أن تكون مؤكدة بصفة صادقة حتى لو لم نعرف ذلك،لذا فإن مفهوم التقرير الصحيح هو مفهوم غير ابستمي ،في حين أنه بالنسبة لضد-الواقعية إذا وفقط إذا كنا نملك وضوحا بالنسبة لها،لذا فإنه مفهوم ابستمي كونه يرتبط بمعرفتنا له (Dummett,1993,p23)، ومن هذا

المنظور يستعين الفيلسوف ضد الواقعي بجملة من المفاهيم الابستمية مثل مفاهيم:التبرير،التأكيد المبرر،التحقق ،والتكذيب...الخ.

وبتطبيق مفهوم التحقق كل العبارات يذهب دوميت إلى أن هناك بعض الجمل التي يمكن أن تكون صادقة دون أن تكون قابلة بصفة مباشرة على التحقق،كما أن هناك جملا حول المستقبل تدفعنا إلى انتظار الوقت المناسب للتحقق منها (Dummett,1978,p78)، وبالإضافة إلى التحققية فإن هذه النظرية توصف كذلك بالتبريرية Justificationist والتي تعمل على تبرير كل أحكامنا التقريرية،وهذا لن يكون إلا من خلال الفعل اللغوي الذي يعد في حد ذاته تبريرا لكل ما نقوله.

وتعتبر الرياضيات أوضح مثال يمكن أن تطبق فيه النزعة ضد الواقعية،وهذا يعود لأنه علم برهاني بالدرجة الأولى،والبرهان يتطلب دوما مضمونا مبرّرا،لأنه يضمن أن تكون القضية الرياضية صادقة في حالة ماإذا كانت قابلة للبرهنة فقط(Bernard Weiss,2002,p96)،ومن هنا يتضح لنا أن الصدق والقابلية للبرهنة متوافقين إلى حد كبير وعلى نطاق واسع،ومن هنا يمكن أن نعرف الصدق بالقابلية للبرهنة،لذا تتحول العبارة" العبارة س تكون صادقة إذا كانت ع"إلى العبارة"س قابلة للبرهنة إذا وفقط إذا كانت ع"،والجملة تكون قابلة للبرهنة إذا وفقط إذا كان هناك برهان عليها (Bernard Weiss,2002,pp97,98).

وانطلاقا من فكرة القدرة الذهنية على البرهنة يقيم دوميت تمييزا واضحا بين الواقعية وضد الواقعية حول فكرة الواقع:ففي الوقت الذي تؤمن فيه الواقعية بواقع لموجودات كائنة أو وهمية، تكون موجودة بصفة مستقلة عن معرفتنا به،تدعو الفلسفة ضد الواقعية إلى تقديم صورة حول واقع من إنشائنا الذهني يحوي بنيات ذهنية تكون موضوعات لفهمنا (Dummett,1991,p339)، وهنا يتقاطع دوميت مع النزعة الحدسانية في الرياضيات.

ولا ينفي دوميت إمكانية اشتراك صفة التحقق من صدق العبارات بين الأشخاص،فلسنا الوحيدين القادرين على جمع المعرفة،بل بإمكاننا الاستعانة بأناس آخرين مثل العلماء والصحفيين والأصدقاء وكذا العائلة،أو دارسي الفلسفة وغيرهم ليخبرونا عن هذا العالم،وهذه المجموعة يطلق عليها دوميت اسم "الجماعة المعرفية(الابستمية)"(Dummett,1978,p78) ،ولعل الغريب من كل هذا أن دوميت يقر بدور الموتى في انتمائهم للجماعة الابستمية وقدرتهم على إفادتنا بالمعرفة من خلال ما يتركوه لنا من كتابات وفنون....الخ (Stuart Brock,Edwin Mares,2007,pp92,93).

ويجدر التنويه إلى أن هناك فرقا بين مفهوم دوميت حول التحقق وبين النزعة الوضعية كون أن هذه الأخيرة تفرق بين الجمل القابلة لان تكون صحيحة أو كاذبة وبين الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها لا بالصدق ولا بالكذب أي الخالية من المعنى ،في حين أن دوميت في نزعته التحققية،،لا ينفي مطلقا وجود الجمل التي يكون معناها متعال عن الفهم مثل الجمل الميتافيزيقية ،ولكن هذا لايعني تماما إقصاءها أو اعتبارها خالية من المعنى(Pascal Engel,1994,p153)،بل إنه يرمي في نزعته هذه إلى تأسيس القواعد المنطقية للميتافيزيقا والتي ستحل كل المشكلات العالقة بها.

ج- رفض القيمة الثنائية: إذا كانت الواقعية الدلالية توسم بالنظرية الدلالية الثنائية كونها تؤمن بمبدأ القيمة الثنائية للعبارات على كونها إما صادقة وإما كاذبة،فإنها لا توجد قيمة ثالثة لها وهذا لارتباطها بالواقع الحسي،إلا أن النزعة

ضد الواقعية عند دوميت تتميز بالتخلي عن هذا المبدأ،إذ يقول "إننا لا نستطيع قبول مبدأ القيمة الثنائية:فبالنسبة لعبارة ما فإننا لانمتلك أي وسائل فعلية للتقرير،فنحن لا نضمن أننا نستطيع الوصول إلى تبرير حول صدقها أو حول نفيها،ولهذا نجد أن هذا الموقف لا يمكن أن يقبل بصلاحية الاستدلال الكلاسيكي لكن بالتكامل مع المنطق الحدسي" (Dummett,nf,p136).

ويبرر دوميت رفضه لهذا المبدأ انطلاقا من إيمانه بالنزعة التحققية في المعنى والصدق،والتي ترفض العناد بين الصدق والكذب،فليست كل قضية غير صادقة هي كاذبة بل يمكن أن أننا لم نتحقق منها بعد،فلا وجود إذن لقيمتين ثنائيتين للعبارة بل هناك أربع قيم ابستمية أخرى وهي: إما أن تكون العبارة:

أ-محققة وبالتالي فهي صادقة. ب-غير قابلة للتحقق.

ج-كاذبة. د-غير كاذبة.

وانطلاقا من رفضه لهذا المبدأ يدعو دوميت إلى تبني المنطق الحدسي الذي لا يعترف بمبدأ الثالث المرفوع باعتباره عند أنصار النزعة الحدسية لا يمثل قانونا أساسيا للعقل،لذا ينبغي التخلي عنه ورفضه مطلقا.

لم يكن هدف دوميت من صياغة المذهب ضد الواقعي الاكتفاء بتحليل نظرية المعنى فقط ،بل إنه أراد من هذه النظرية أن تكون الفلسفة الأولى التي تقوم عليها كل مجالات الفلسفة المختلفة، لذا فإن التساؤل المطروح :**كيف طبق دوميت اتجاهه ضد الواقعي في الميتافيزيقا وكيف أعاد الاعتبار لها من منظور دلالي؟.**

لقد أعاد دوميت في مشروعه القيمة لميدان الميتافيزيقا،بعد أن كان مهمشا أو مرفوضا من طرف الفلاسفة التحليلين الذين سبقوه، ويعتبر موقف دوميت من الميتافيزيقا نقطة الخلاف بينه وبين فتغنشتاين رغم أنه استلهم مشروعه ضد الواقعي من أفكاره خاصة فيما تعلق بمفهوم الاستعمال،حيث رفض دوميت فكرة أن المشاكل الماورائية لابد أن تهجر كما كان يتصور أستاذه،وشكل هذا الأمر في نظر الكثير من النقاد تحديا كبيرا لدوميت كونه حاول تفسير العبارات الميتافيزيقية ،بربط معانيها بالممارسات الأخرى التي نستخدمها،وانطلاقا من كون فلسفة اللغة هي الفلسفة الأولى ،فإن هذا الأمر لا يبقى مقتصرا فقط على تصوراتنا حول الدلالة أو بشكل نظرية المعنى ،بل إن لها نتائجا ميتافيزيقية سواء كانت من وجهة واقعية أو من وجهة ضد واقعية،لأن هذه التصورات هي متضمنة في قضايانا الميتافيزيقة في حد ذاتها ،إنه بهذا المعنى فقط تعبر فلسفة اللغة هي الفلسفة الأولى (Dummett,1993,pp2,3)، وبهذا تصبح الميتافيزيقا في نظر صاحب كتاب"الصدق وألغاز أخرى Truth and other enigmas "صورة لا تحمل في حد ذاتها أي جوهر أكثر من كونها عرض لتصور المعنى"(Dummett,1978,pp xxvii,xxix)، أي أن يعتبر أن كل القضايا الميتافيزيقية مرتبطة بمعنى العبارات المستخدمة فيه.

ولكن كيف يمكن لنظرية المعنى أن تحل المشكلات الميتافيزيقية؟ يجيب دوميت قائلا: " إنه عن طريق تأسيس نظرية المعنى،أي معنى العبارات التي تنتمي إلى أي ميدان من اللغة يمكننا أن نعرف مفهوم الصدق المطبق في العبارات التي تنتمي إما إلى الواقع الفيزيائي،أو العبارات الرياضية،أو عبارات الزمن الماضي وغيرها،عندها فقط يمكن الفصل بين تصورات الصدق المختلفة المعتمدة من طرف الواقعيين أو ضد الواقعيين" (Pascal Engel,1994 ,p149)، ومن هنا يمكن أن نفهم أن علاج المشكلات والقضايا الميتافيزيقية لا يكون إلا بإنشاء نظرية دلالية مناسبة.

أراد دوميت من خلال تحليلاته السيمانطيقية أن يؤسس القواعد المنطقية للميتافيزيقا the logical basis of metaphysics وذلك بإعادة الخلافات التقليدية حول الموضوعات الميتافيزيقة بين المذاهب الفلسفية إلى الاختلاف حول معنى العبارات المرتبطة بالصنف المتنازع حوله أولا ثم إيجاد الحلول المناسبة على ضوء هذه النظرة،إذ يقول:" إن هدفي أن ترجع كل الموضوعات الميتافيزيقية إلى نظرية المعنى الصحيح في لغتنا ،إنه لا يجب علينا أن نحل المشكلات الميتافيزيقة أولا ثم نبني نظرية في المعنى على ضوء إجاباتنا،بل لابد أن نكتشف كيف تعمل اللغة وكيف يمكن أن نبني وصفا نسقيا حولها،إن الإجوبة على هذهع الأسئلة ستحدد الحلول عن المشكلات الميتافيزيقية" (Dummett,1991,ppx,14)، أي أن خطأ التصورات الكلاسيكية أنها انطلقت من الانطلاق من الميتافيزيقا ثم صياغة نظرية لغوية حول هذا الموقف،ولكن العكس هو الصحيح أي أن الميتافيزيقا هي القمة وليست القاعدة،على خلاف الوضعيين الذين يحاولون إعادة المشكلات إلى الخلط اللغوي وذلك بغية القضاءعليها،فإن دوميت يسعى إلى تعريف المشكلات الميتافيزيقية عن طريق اللغة باستخدام مفهوم التحقق لعرض المعنى التام الممكن للموضوعات الميتافيزيقية.

وبالاعتماد على طريقة الارتقاء الدلالي semantic ascent فإن دوميت يعتبر أن على مباحث الميتافيزيقا أن ترتبط بالعبارات والجمل ،خاصة عبارات الصنف المتنازع حوله،والذي نحدد صدق عبارات أو كذبها من خلال نظرية المعنى المناسبة بدلا من السعي نحو تأسيس لغة موضوعية لمراجع هذه العبارات،حيث يقول:"إن النظرية الميتافيزيقية واقعية كانت أو ضد واقعية التي نتبناها في طريق البحث عن المشكلات هي نتيجة للموقف الذي نتخذه من نظرية المعنى،دون تقرير مسبق من قبل لاختيارنا هذا الموقف:إن تأكيد أو نفي وجود واقع موضوعي موصوف بهذه العبارات حتى تكون صادقة أو كاذبة،ليس إلا تبني لتصور أو عدة تصورات حول نوع المعنى الذي تأخذه هذه العبارات" (Dummett,1977,p382). وانطلاقا من هذا الموقف يصبح النقاش الكلاسيكي الموجود بين الواقعية والمثالية وغيرها عليه أن ينظر إليه على أنه خلاف حول الشكل العام لنظرية المعنى الذي يجب أن نأخذ به: هو نقاش من جهة حول النظرية التي من خلالها تلعب مفاهيم الصدق والخطأ الأدوار المركزية مثلما هو موجود في نظرية فريج (ويقصد بها النظرة الواقعية) ومن جهة ثانية يلعب مفهومي التحقق والتكذيب هذه الأدوار (Dummett,1981,p466)، وعن طريق تحديد معاني المصطلحات المستخدمة من كل طرف يتم حل القضايا والمشكلات الميتافيزيقية التي أرهقت العقل الإنساني منذ القدم.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا المقال إلى القول أن دوميت باستحداثه للتيار ضد-الواقعي قد أعاد الاعتبار للميتافيزيقا في مجرى الفلسفة التحليلية،والمفارقة أنه انطلاقا من نفس السبب الذي نُبذت فيه العبارات الميتافيزيقية وهو خلوها من المعنى ،سيعيد لها دوميت المشروعية،فنظرية المعنى هي نقطة الانطلاق للوصول إلى حل للمشكلات الميتافيزيقية ،باعتبار هذه الأخيرة ناجمة عن سوء فهم لمعنى العبارات التي تصاغ بها هذه المشكلات،وبهذا يكون دوميت قد حوّل المشكلات الميتافيزيقية والأنطولوجية إلى مشكلات دلالية سيمانطيقية بالدرجة الأولى، وهو قلب التحول الميتافيزيقي الذي غيّر به الفيلسوف البريطاني مجرى الفلسفة التحليلية.

قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية:

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم، (1999)، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

2. جميل صليبا، (1982)، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

3. جراح سليمة، (2005)، التصور الحديث لمنطق أرسطو: مشكلة مبدأ الثالث المرفوع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4. سلامة يوسف، (2007)، الفينومينولوجيا: المنطق عند هوسرل، دار الفارابي، لبنان.

5. محمد فتحي عبد الله، (2002)، معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية:

6. Armand Cuvier, (1967), Nouveau Vocabulaire philosophique, 2ème éd, Armand Collin, Paris.

7. Frege, (1971), Sens et dénotation, dans écrits logiques et philosophiques, traduction: Claud Imbert, édition de Seuil, Paris.

8. Pascal Engel, (1994), Davidon et la philosophie du langage, Press Universitaire de France, Paris.

ثالثا:المراجع باللغة الإنجليزية

9. Alexander Tanissini, (2001), philosophy of language, Edinbugh University pres.

10. Bernard Weiss, (2002), Michael Dummett, 1st published, British Library Cataloging,.

11. Dummett Michael, (1977), Elements of intuitionism, Clarendon Press, Oxford.

12. Dummett Michael, (1978), Truth and other enigmas, Harvard University Press, Cambridge.

13. Dummett Michael, (1981), Frege, philosophy of language, 2nd edition, Duckworth.

14. Dummett Michael, (1991), Frege, Philosophy of mathematics, Harvard University Press, Cambridge.

15. Dummett Michael, (1991), the logical bases of metaphysics, Harvard University Press, Cambridge. :

16. Dummett Michael, (2003), The seas of language, Clarendon Press, Oxford.

17. Dummett Michael, (2010), The nature and future of philosophy, New York.

18. Johannes L.Brandle, Peter Sulvian, (1988), New essays on philosophy of Michael Dummett, Edition Radopi Atlanta, G.A.

19. Mark Quentin Gardiner, (1963), Semantic challenges to realism; Dummett and Putnam, Cataloguing Publication Data.